

خطاب صاحب الجلالة

بمناسبة نهاية المناظرة الفلاحية

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله الذي هدانا الى لقاء مثل هذا اللقاء، والى مناظرة مثل هذه المناظرة، والتي لو لم يكن من فضلها الا انها خلفت فينا جميعا الوعي الفلاحي، ومن نتائجها وخيراتها كذلك أنها قربت المسافة بين الادارة والفلاحين من جهة وبين الفلاحين والادارات المختلفة من جهة أخرى وبين مختلف طبقات الفلاحين.

وهذه المناظرة وضعت النقط على الحروف، وجعلتنا نشعر أن الفلاحة هي قبل كل شيء مشكلة انتاج، وان الشعب المغربي يتزايد في كل سنة بمعدل ثلاثة في المائة، من جراء هذا سنجد أنفسنا في السنوات المقبلة أمام طاقة بشرية، فيجب اذن أن نقوم بخدمة بلادنا، واصلاحها على أحسن الأحوال.

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

لقد أستغرقت أعمال المناظرة ما يقرب من عشرة أيام، وضعت فيها على بساط الدرس عدة مشاكل، لم تكونوا كلكم على بصيرة منها، وتطرقت إلى مواضيع غابت عني وعنكم بعض جوانبها، وتطرقت إلى مشاكل وتصميمات لم نضعها ولم نخططها من قبل.. إلا أننا لن نحل جميع المشاكل دفعة واحدة ولكن هذه المشاكل ستحل تدريجيا.

ولم أكن أشك في أن هذه المناظرة ستخرج بتوصيات مثل التوصيات التي حصلت عليها.

إننا بكيفية عامة نعرف عقلية الفلاح، ونعرف أن العنصر الفلاحي في المغرب سيبقى دائما عنصر التوازن والاتزان في هذه البلاد، سيبقى دائما عنصر الواقعية، عنصر أولئك الذين يعرفون ان للمطر مواعيد، وأن لايراق الأشجار مواعيد، ويعرفون أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، ولكن الذي يمطر الذهب والفضة هو الكد المتواصل والعمل الجدي.

ولم نشك من قبل في إننا سنصل إلى نتائج.. ولم نشك عند إفتتاحنا لهذه المناظرة أننا سنجد في التجربة الشيء الذي ربما لن نلقاه في التقنية والعلم.

وقد تتبعت أشغال مناظرتكم ورأيت أن الانسجام كان حقيقيا واقعا بين التجربة والتقنية، رأيت أن النفور الذي كان موجودا بين الفلاحين من جهة وبين الفنيين من جهة أخرى لم يبق له اثر.

وبقدر ما نعيش كل يوم في استظهار المشاكل نطلع على حقائق الفلاحين لأنهم يشعرون على أن مصيرهم مصير مشترك، وأن مشاكلهم واحدة وتربط بينهم أواصر الدم واللغة، والمواطنة.

قد تسمعون مني كلاما، وكل كلام يفوه به رئيس دولة يصبح كلاما جديا واتجاها رسميا وأمرا جاريا به العمل، ربما تكونون متطلعين إلى تلقي بعض الأوامر.. وفي هذا الصدد أقول لكم : لا ! لأنني لا أريد أن أتصرف ولكن يمكنني أن أعدكم بأن جميع توصياتكم التي تتبعتها واستمعت إليها اليوم هذه التوصيات التي تعبر

عن وعي وعن تفهم وعن تبصر سوف تكون محط عنايتنا العظمى، وكونوا على يقين أيضا، بأنها لن تبقى حبرا على ورق، لأننا منذ اليوم الذي استدعيناكم فيه للمناظرة لم يكن ذلك بدافع الالتزام، ولم يفكر أحد في أحداث هذه المناظرة عن اقتناع شخصي من أنه في يوم ما يجب أن يتم لقاء بينكم، وحكمنا على أنفسنا سلفا قبل أن نحكيم عليكم بأن كل قرار إتخذ سيدرس، وإذا ظهر بعد الدراسة انه قرار لائق وصائب إذ ذاك سيكون محكوما علينا سلفا ملكا وحكومة وإدارة وفلاحين ان نطبقه، والشيء الذي يجب أن أقوله لكم إنني أستوعبت قرارات المجلس الأعلى للفلاحة.

وفي الحقيقة إنني أحسست بشعور التخوف في كل واحد منكم، ذلك أنكم تقولون أن هذه المناظرة دعا إليها جلالة الملك ونحن من جهتنا بذلنا جهودنا، إذن فما هي الوسيلة التي ستكون بين أيدينا ــ وبصفة مستمرة ــ نحن الفلاحين الذين نعيش بعيدين عن العاصمة بمسافات بعيدة ولا نجد أبواب الادارات مفتوحة في وجوهنا، فما هي الوسيلة الفعالة التي ستكون بين أيدينا لمراقبة سير المسائل الفلاحية ومراقبة تطبيق المقترحات ! وأنا الذي أدركت تخوفاتكم وشعرت بها يمكنني أن أقول لكم إنني أقاسمكم هذا التخوف، ولهذا فسواء أكانت هناك مناظرة كهذه أو مجلس أعلى للفلاحة أو أي شيء من هذا القبيل فسأدرسه لأنني مثلكم أريد أن نحاسب أنفسنا بكيفية دورية وعلى الأقل مرتين في السنة لنرى ما طبق وما لم يطبق.

نعم يمكنني أن أقول للفلاحين إن هذا التخوف الذي أبدوه وحرصنا المتمثل في إشراك الفلاحين والمنتجين والكادحين على مختلف طبقاتهم كان في الحقيقة هو الدافع الأصلي الذي جعلني اقترح عليكم يوم الاستفتاء في الدستور مجلسا للمستشارين لأنني أعرف أن الديمقراطية إذا لم تكن في إطار المعيشة اليومية والكفاح اليومي والنضال المرير ستكون ديمقراطية جوفاء مبنية على الفراغ.

ولكنني أعتقد شخصيا أنه زيادة على مجلس المستشارين لديكم وسائل أخرى للعمل لابد من تنبيهكم إليها.

لديكم الغرف الفلاحية والمجالس الاقليمية والبلدية والقروية بحيث لا أريد منكم أن تنتظروا ظهور معجزة من مناظرة مثل هذه في القمة، وانه لايمكن الحصول على النتائج إلا إذا اجتمعتم في العاصمة مدة عشرة أيام مع القمة ومع الوزراء.

ينبغي أن تستعملوا جميع الوسائل لأنه كمن يملك البهيمة الصغيرة والكبيرة حقيقة يرعى الكبار ولكن يجب عليه ألا ينسى الصغار بحيث لديكم الوسائل اليومية، وسائل الإجبار التي يمكنكم أن تجبروا بها الادارة، لأن الادارة بنفسها تخلت عن حقوقها واعطتها لكم يوم تنازلت عنها واعطتها للمواطنين إما بصفتكم ناخبين أو منتخبين. فإذا كنتم عارفين لجميع وسائلكم واستعملتموها أحسن إستعمال سيكون المجلس الأعلى للفلاحة أو ما يماثله أو عقد المناظرة مرتين في السنة إذ ذاك ستؤتي أكلها الكامل لأنها ستكون مبنية على نتائج أولية وثانوية.

أما إذا تقابلنا مرتين في السنة ولم يكن عملكم مستمراً : في المجالس الجهوية والقروية والبلدية والغرف الفلاحية إذ ذاك سنكون مثل ذلك الفلاح ــ الذي قلتم عنه ــ لا يملك إلا محراثا خشبيا فإذا لم تكن الأرض مبتلة تكسر محراثه أو توقف عن الحرث، ولهذا أريد منكم أن تزرعوا في العمق مدة السنة بأجمعها، وأنا مستعد لمقابلتكم مرتين أو ثلاثاً في السنة وإذ ذاك سنكون حتى إذا عملنا جميعا ستكون الأرض مقلوبة في جميع النواحي، هذه هي النصيحة التي أعطيها لكم أعني يجب أن تعرفوا وسائلكم وتحسنوا استعمالها فإذا عرفتموها إذ ذاك

سيسهل علي شخصيا التعامل معكم لأننا سنكون في مستوى واحد في التفكير والانتاج.

من جملة المسائل التي لفتت نظري كذلك طلبكم لأن تكون وزارة الفلاحة وزارة كاملة، حقيقة أحب أن أقول لكم أنني في اليوم الذي وضعت فيه الفلاحة في مرتبة كتابة الدولة لم يكن في حسباني آنذاك ولا الآن إنني سأحتقر الفلاحة أو ستكون تابعة للمالية أو للتجارة، حقيقة وضعتها في مستوى الاقتصاد الوطني بمعنى كل ما من شأنه أن يغذي الناس ويرفه عنهم بحيث أطلب منكم أن تكونوا متيقنين أنه لم يكن في نيتي الاستخفاف أو الاستهتار بالفلاحة.

وكيفما كان الأمر والحال وبما أنكم طلبتم هذا الطلب واقترحتم هذا الاقتراح كونوا على يقين أنه سيكون من جملة المقترحات والمطالب التي سينظر فيها بإمعان وفي أقرب وقت إن شاء الله.

وقبل أن أختتم هذه الكلمة الوجيزة أقول لكم إنني كنت أسمع طيلة التوصيات أنه يجب على الدولة أن تعطي ويجب عليها أن تعين وتعوض، فالدولة مستعدة — كما قلت لكم — لأن تعمل كل ما في وسعها وفوق وسعها.

ولكن كما قلت لكم في البداية هناك عقدة جماعية فيما بيننا، يجب أن تعتبروا أنفسكم موظفين، فالأرض في الحقيقة لا يملكها مغربي أو أسرة أو طائفة وإنما يملكها جميع سكان المغرب سواء كانوا بدويين أو حضريين فلاحية أو صناعية كما أن الثروة الأرضية والتي توجد بالمعامل هي في الحقيقة ملك للجميع، لا يملكها أصحاب المعامل والمصانع، وإنما هم فقط موظفون ليكثر الانتاج ويقع التوسع الاقتصادي والازدهار الاجتماعي.

فالدولة مستعدة لتلبية جميع طلباتكم، مستعدة أن تعين وتقرض وتعوض وتبذل، وربما هي مستعدة كذلك أن تدفع واجب ما على البهيمة التي قال عنها البيطار إنها ذبحت وهي مريضة، على شرط أن تعرف أن ذلك المرض لم يكن ناتجا عن التهاون أو عن عدم المقابلة ولكنه مرض طارىء من جملة الأمراض الطارئة التي تقع.

معنى هذا ان العقدة الجماعية التي بيننا تلزمنا أن نعمل جميعا مقابل ما نتقاضاه من الدولة كل شهر لنقوم بواجبنا، ويجب علينا أيضا على الفلاحين والصناع وجميع الموجودين هنا ومن لهم مهن حرة أن يشعروا أنهم موظفون مع الدولة وفي هذه الحالة يجب على الدولة ان تفي لهم بناء على تلك العقدة.

وكما قلت في البداية علينا أن نحمد الله ونشكره على أننا وصلنا إلى نتائج فوق ما تتصورون، وقد لا تظهر لكم حقيقة هذه النتائج الآن، ولكن لي اليقين انه بعد شهرين كل واحد منكم سواء كان فلاحا كبيرا أو صغيرا أو متوسطا ستعودون إلى منازلكم وتسترجعون تلك الكلمة التي سمعتموها من الفنيين وسيدرك هذا الفني من جهته أن ما سمعه من ذلك الفلاح الصغير هو عين الصواب، كنتم كأولئك الجيران الذين كان بينهم سور حاجز واليوم قد كسرتم ذلك الحائط وفتحتم فيه بابا حتى أصبحتم تعرفون ما يحتوي عليه المنزل، وهنا يجب علينا أن نستمع ونتبع نصيحة النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يوصي بالجار حتى ظن المسلمون أنه سيورثه.

لهذا أوصيكم خيرا بالفنيين وأوصي الفنيين خيرا بكم لأنكم جميعا تعملون في ميدان وإطار واحد، ولنتيجة واحدة، فما هو مستقبل الفني واولاده إذا ما انخفض الانتاج المغربي ؟ وما هو مستقبل الفلاح إذا تكاثرت الذرية بنسبة ثلاثمئة ألف في السنة ولم يكثر إنتاجنا ؟



وكونوا على يقين بأن الهداية الربانية التي جعلتكم تصلون جميعا إلى نتائج واحدة ستظل سائرة بكم إلى الطريق لتصلوا إلى نتائج عملية فوق الأرض وفي قعرها وعمقها فوق الأشجار، في الغابات في الماشية، وكونوا على يقين كذلك إن تربة المغرب كانت دائما تربة صالحة مادياً ومعنويا، لأن كل حبة بذرت بها تؤتي أكلها وفوق أكلها معنويا.

وإن غرسا معنويا غرسه محمد الخامس رحمه الله وإن إثني عشر مليونا بعث فيهم محمد الخامس رحمه الله ضميرا مهنيا كونوا على يقين بأن موضع هذا الغرس ونتيجته لا يمكن لها أن تخون سمعته وقيمته في الحاضر، وما نؤمله ونعول عليه في المسقبل من خيرها وكرمها وجودتها وفوق كل هذا من خير الله ورحمته وعفو الله وإعانة الله، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه من موظفين وفنيين وفلاحين صغارا وكبارا ومتوسطين وفوق هذا كله الساهرين على وحدة التراب، وما معنى وحدة التراب ؟ ليس المفهوم الحقيقي لوحدة التراب هو المشاكل الجغرافية أو الحدود، إنه إلتام جميع الطبقات إلتام جميع أجناس العمل والعناصر الحية في البلاد سواء كانت في البوادي أم في المدن أو في المصانع أو في الحقول بحيث كونوا على يقين إننا بعد إعانة الله سوف تجدون دائما في خدمتكم وللأخذ بيدكم من هو الساهر على وحدتكم المعنوية والترابية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ارتجل بالرباط

الاربعاء 3 ذي القعدة 1383 — 18 مارس 1964